**رابعا. المدرسة السياقية (فيرث)**

**توطئة**

يُعدّ جون فيرث(1890- 1960) أول من جعل اللسانيات علما معترفا به في بريطانيا. وقد انصبّ اهتمامه على الصوتيات الوظيفية وعلم الدلالة أو ما أطلق عليه النظرية السياقية( la théorie de contexte)، وهي نظرية تعطي الاهتمام للأحول المحيطة بالظاهرة الكلامية[[1]](#endnote-1)1. فالسياق يلعب دورا مهما في بناء المعنى ومن وجهة النظر هذه نعتبر أن اللغة ليست بنية منغلقة على نفسها بل يشترك في تكوينها مجموعة من السياقات.

«إن الكلام ليس أقوالا بل أفعال تحتوي الحدث الكلامي، والقضايا المادية المحيطة بالنص المنطوق أو المكتوب، واللغة باستعمالاتها البدائية حلقة اتصال في نشاط بشري جماعي...إنها نمط من العمل وليست أداة للتأمل. كما أن الترجمة الحرفية للكلام تفقده وظيفته الأساسية، وهي التواصل بين بني البشر. لذلك فإن معنى العبارات لا يتضح ولا يكون جليًّا إلا إذا رُوعيت الأنماط الحياتية للجماعة المتكلمة، وكذا الحياة الثقافية والعاطفية والعلاقات التي تؤلف بين الأفراد داخل المجتمع(...)ومن ثم يُصرُّ فيرث على اعتبار اللغة جزءا من المسار الاجتماعي»[[2]](#endnote-2)2. فالمدرسة السياقية تدعو إلى تتبع الدلالات من خلال استقراء اللغة في السياقات التي توجد فيها بما تحمله من قضايا اجتماعية وثقافية، كما أن معاني الوحدات اللغوية تتحدد بملاحظة الوحدات الأخرى المجاورة لها في السياق اللغوي، ويتعدد معنى المفردة بتعدد السياقات التي ترد فيها، وقد أشار لسانيو هذه المدرسة إلى أربعة أنواع من السياق:

**1. السياق اللغوي**

هو حصيلة استعمال الكلمات داخل نظام الجملة عندما تتراكب أو تتساوق مع كلمات أخرى، وهذا يُكسبها معنى خاصا محددا. فالمعنى في السياق محدد معيّن غير قابل للتعدد والاشتراك والتعميم، بخلاف المعنى المعجمي حرفي ومحتمل متعدد. فكلمة (يد) مثلا تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه، نقول مثلا:

* أعطيته مالا عن ظهر يد: أي تفضُّلا.
* فلان طويل اليد: أي كريم وسمح.
* مالي يد: أي ليس لي قوة.
* يد الفأس: مقبضها.
* هذه يدي لك: أي استسلمت وانقدت لك.

**2. سياق الموقف**

يسمى أيضا سياق الحال والسياق المقامي، والمقصود بالموقف مجموعة الظروف التي تحيط بالموقف، أي العالم الخارجي المحيط بالموقف الذي تم فيه الكلام، عند البلاغيين يسمى (المقام) ، فيقولون(لكل مقام مقال)، فتتعدد دلالة الكلمة تبعا للمقام الذي استخدمت فيه، فضلا عن العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام. ويقوم المقام على عناصر معينة هي:

* ما يتصل بالمشاركين في الكلام من الأشخاص وسماتهم الشخصية، ويندرج تحت هذا العنصر:
* النشاط اللغوي والكلام الفعلي للمشاركين.
* النشاط غير اللغوي للمشاركين (الصمت، الضحك، الإشارة).
* العوامل والظواهر الاجتماعية المتصلة باللغة؛ كحالة الجو،الوضع السياسي، الاجتماعي، مكان الكلام.
* آثار الكلام الفعلي: هل كانت الاستجابة بالكلام أو بغيره من قِبل المتلقي؟

ومثال على ذلك نقول: التقى شخصان بعد غياب طويل، فانهال أحدهما على الآخر بقوله له: (يا لئيم، ياجبان، يا محتال)، فإذا حلّلنا القول تحليلا حرفيا معجميا للألفاظ سنخطئ فهم الموقف، وإذا أردنا فهمه على حقيقته نظرنا إليه من جميع جوانبه: المشاركين في الحدث، المكان، الزمان. فمعاني الألفاظ تنعرج للدلالة على التودّد والتلطّف بينهما.

**3. السياق العاطفي**

في هذا السياق تستعمل الكلمة بدلالتها العاطفية ليست الموضوعية، والسياق العاطفي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفا، فتستعمل مثلا الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية عند الحديث عن حالة فيها غضب وشدة انفعال.

فكلمتي( يكره، يبغض) مختلفتان: (الكره) خلاف(الرضى)، بينما (البغض) خلاف(الحب). متشابهتان في أصل المعنى ومختلفتان في دلالتهما الخاصة.

كذلك كلمتي(المودة والمحبة): تشتركان في أصل المعنى.

لكن للمودة دلالة خاصة: محبة خالصة مقرونة بعمل يظهرها ويجليها. والشخص الودود الذي يظهر محبته.

أما المحبة: قلبية لا تظهر.

في معني الموت قولنا: شهيد: كلمة تحمل شحنة عاطفية أضفاها عليها الجانب الديني، موت من أجل هدف سامٍ.

أما قتيل: تحمل معنى وفاة محزنة.

اغتيال: يشير إلى بُعد سياسي. قتل: معنى موضوعي.

**4. السياق الثقافي**

يرتبط بالاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية والمعلومات التاريخية والأفكار المشاعة بينهم، ويقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فتختص بدلالة لا يحتملها المعنى المعجمي، ويكون هذا المعنى الذي تحمله الكلمة ذا مرجعية ثقافية لجماعة لغوية ما، كقولنا:

الكلمات التي تستعمل في لغتنا العربية لتسمية الزوجة( عقيلته، حرمه، زوجه، امرأته).

كلمة(جِذر) لها معنى خاص عند الفلاح، (جِذر) عند اللغوي له معنى مختلف، (جِذر) له معنى آخر عند عالم الرياضيات[[3]](#endnote-3)3.

1. 1 ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص ص 19، 20. [↑](#endnote-ref-1)
2. 2 المرجع نفسه، ص ص 20، 21. [↑](#endnote-ref-2)
3. 3 ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط5 1998، ص ص 69- 71. [↑](#endnote-ref-3)